وزادني حذرا اذ خشيت ان يكون في ذلك فخ او خديعة ... وهبط الظلام وتحول الرذاذ الى مطر غزير جعل الرؤية صعبة . وخشيت ان تلحق بوحداتنا خسائر كبيرة في الليل نظرا لقلة تدريب افرادها على القتال الليلي وسط الامطار والوحول وخشيت من انتشار الفوضى بين افراد السرية ، لذلك وبسبب قلة العدد امام القوة اليهودية في المستعمرة فقد قررت ان الافضل ان تتجمع السرية على المرتفعات المطلة على المستعمرة مباشرة حتى يطلع الصباح وارى ردود فعل قيادة الهاغانا . وكانت خسائرنا في ذلك الوقت جريحا واحدا فقط »(١٢٠).

هذا ما يقوله القاوقجي . أما الدكتور امين رويحة وكان يومها مع وحدات الانقاذ في مشمار فيقول « ان المقاتلين بعد أن وصلوا الى الاسلاك الشائكة عجزوا عن اقتحامها لعدم وجود الادوات القاطعة اللازمة او المواد الناسفة ، وحصل شيء من الفوضى والارتباك بين المقاتلين مما دفع فوزي الى سحب القوة من جوار الاسلاك وارجاعها الى الخلف لان جنودنا لا يحسنون القتال الليلي ... »(١٢١).

هذا ويقول كورزمان الصهيوني «ان القاوقجي كان يخطط لهذه العملية منذ اسبوعين... حشد ألف مقاتل و (١٢) مدفع هاون عيار ثلاث بوصات ، وبضع سيارات مصفحة ، وأهم الكل بطارية مدفعية تتكون من سبعة مدافع عيار (٧٥) مم و(١٠٥) مم . وكان اول من استخدم المدفعية في هذه الحرب ... أما اليهود فكان عدد سكان المستعمرة (٣٠٠) من الرجال والنساء والاطفال وكانوا يعدون دفاعاتها خلال شهرين ... حفروا خنادق متصلة وسرقوا أسلاكا شائكة من البريطانيين وخزنوا أغذية لمدة شهر ورتبوا مع وحدات الهاغانا المحلية أمر مدفع رشاش ثقيل وهاون عيار (٣) بوصات ، بالاضافة لما كان عندهم : مدفعا هاون عيار بوصتين ورشاشان خفيفان و (٥٠) بندقية »(١٢٢). ويضيف هذا الكاتب ان المستعمرة تلقت خلال ساعتين ألف قنبلة ثم توقف القصف . وبدأ السكان ينتظرون هجوم المشاة(١٢٣).

ويقول المعلق البريطاني (أو بالانس) انه « بعد الاحاطة بمشمار هاعيميك ... وبعد استمرار القصف المدفعي طيلة الليل ... ولسبب او آخر فان هجوم الفجر المتوقع لم يحصل . ولو تم لكانت هناك كل الامكانيات لينتهي بالنجاح باعتبار ان الحامية كانت مؤلفة من السكان فقط مع مجموعة صغيرة من الهاغانا تملك رشاش براوننغ وهاونات صغيرة وعددا محدودا من الاسلحة الصغيرة »(١٢٤). وفي صباح اليوم التالي ، ٥ نيسان، وصل ضابط بريطاني كبير الى مقر قائد الفوج ، المقدم مهدي العاني ، وطلب منه باسم القيادة البريطانية السماح بنقل القتلى والجرحى من المستعمرة ، ويضيف القاوقجي الى هذا ان سيارات الاسعاف والشاحنات البريطانية التي كانت تدخل الى المستعمرة وتخرج منها بحراسة المدرعات والدبابات البريطانية هي التي تولت نقل النجدات والامدادات والجنود الى العدو المحاصر . (مذكرات القاوقجي ص ٣٩ ــ ٤٠) .

والظاهر ان الانكليز لعبوا دورهم المعتاد اذ نجحوا في اقناع القاوقجي بأن يمنح العدو هدنة (٢٤) ساعة صباح ٥ نيسان ثم مددت الهدنة يوما آخر كانت النجدات تتدفق على المستعمرة والمناطق المحيطة بها بقصد تطويق قوات الانقاذ وابادتها . وفيما يقول كورزمان الصهيوني ان « اول مجموعة نجدة وصلت للمستعمرة في الساعة الثالثة من صباح يوم ٥ نيسان » ــ ص ١٢٦ ــ نجد ان او بالانس البريطاني يشير الى « ان النجدات بدأت تصل المستعمرة يوم ٦ نيسان ولمدة يومين ، فصار في المستعمرة فوجان من الهاغانا ... وكانت هذه هي المرة الاولى التي تقاتل فيها الهاغانا على مستوى الفوج » ــ ص ٤٣ ــ . ويضيف هذا الكاتب البريطاني قائلا : « ان العرب قاموا بمحاولة او اثنتين دون ان يكون الهجوم جديا ... » واستمرت المعركة تسعة ايام اشتبكت فيها قوات البالماخ مع الانقاذ في قتال سجال اذ بدأ العدو بشن هجماته المعاكسة